

أحمد عتيق | Ahmed Atyq*

شبكات التواصل الاجتماعي والثقافة التواصلية في مجتمعات هجينة قراءة في دور منصة تويتر في قطر

Social Networks and Communication Culture in Hybrid Societies: A Reading in the Role of Twitter in Qatar

ملخص: تسعى هذه الدراسة إلى فهم الأثر العميق لتحول الفضاء العمومي الاتصالي في دولة قطر في عصر الرقمنة والتشبيك، ودوره في تغيير الثقافة التواصلية. يقوم الباحث، مستفيداً من نظريات الاتصال، برصد دور شبكات التواصل الاجتماعي في تنشيط الاتصال والتواصل، وبروز هذه الشبكات بوصفها مجالاً عاماً يتجاوز العوائق البنيوية التي ينتجها نمط التمدين في الخليج العربي. وتتوصل هذه الدراسة إلى أن هنالك مؤشرات تدل على أن المجال العام الافتراضي في قطر ساهم في تحدي هرم التواصل التقليدي الذي طالما هيمنت عليه الدولة. وعملت الدراسة على تتبع حالتين «هاشتاغين» أثاراً متابعة وردوداً مختلفة على صفحات تويتر، وهما انتقاد محتوى مقرر التربية الإسلامية، واستنكار استضافة وفد رياضي إسرائيلي. كلمات مفتاحية: شبكات التواصل الاجتماعي، التغيير الاجتماعي، الفضاء العمومي.

Abstract: This study explores the profound impact of the transformation of the public communication space in Qatar in the era of digitization and social networking, and its role in changing the culture of communication. Based on communication theories, the research monitors the role of social networks in activating communication, and the emergence of these networks as a public domain to transcend the structural obstacles produced by urbanization patterns in the Arab Gulf Countries. The study concludes that there are indications that the public domain in Qatar has contributed to challenging the classic communication hierarchy that has long dominated the country. The study tracked two cases of «Hashtag» follow-up effects and various responses on Twitter, namely criticism of the content of the Islamic education curriculum and the condemnation of hosting an Israeli sports delegation.

Keywords: Social Networks, Social Change, Public Space.

* باحث حاصل على دكتوراه في التواصل والإشهار من كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء، المغرب.
Researcher holds a doctorate in communications from the Faculty of Humanities and Literature at the University of Hassan II in Casablanca.

مقدمة

تروم هذه الدراسة تتبع التغيرات الملموسة التي شهدتها سياسة ربط الفضاء العمومي للمجتمع القطري بالإنترنت، والتي هدفت أساسًا إلى تحديث هياكل الدولة الوطنية ومؤسساتها اللامركزية، وتطوير علاقتها بالفاعلين المجتمعيين، الذين يتأثرون بدورهم بالتحويلات الاجتماعية العميقة التي تخلفها عملية التمدين، والتحديث الفوقي، إضافةً إلى تحسن مستويات التعليم؛ حيث ساهمت هذه العوامل في تيسير استخدام الإعلام بتحكم أكبر في التقنية والتلقي وإنتاج المحتوى. وهذا ما يبرز جليًا في استخدامات منصات التواصل الاجتماعي التي أصبحت تمثل مجالًا للتعبير والنقاش بين فاعلي المجتمع المدني والحكومة والمواطن العادي. وتساهم هذه البرامج في تأطير المشاركة، وفي التعبئة السياسية Political Mobilisation، وفي إنتاج أشكال جديدة من المواطنة التي تتفاعل مع الأحداث الداخلية والخارجية وتناقشها، ومن ثمّ المساهمة في تشكيل الرأي العام.

سمحت ثورة منصات التواصل الاجتماعي في قطر ببلورة تصوّرات جديدة للفضاء العمومي، أنتجت مساحات جديدة يتفاعل فيها السياسي مع التواصل، منتجًا شريحةً جديدة من الفاعلين الاجتماعيين وقادة الرأي الجدد. ولأجل ذلك، عملت الدراسة على تتبع حالتين «تغريدتين» أثارنا متابعة وردودًا محلية مختلفة على صفحات تويتر في قطر، وهما انتقاد محتوى مقرر التربية الإسلامية، واستنكار التطبيع إثر استضافة وفد رياضي إسرائيلي.

وقد تمّ التوصل إلى أن هذه الوسائط الاتصالية الجديدة، أضحت عاملاً مؤثرًا في شكل العلاقة وأنماطها بين الدولة والمجتمع بمواطنيه وفاعليه. وهذا يعني تحول هذه الشبكات التفاعلية إلى مصدر للمعلومة، وحلبة للحجاج بالأفكار ولممارسة الحق في الاتصال والمتابعة والمساءلة. وقد انطلقت الدراسة من فرضية أهمية هذه الوسائط في تشييد عناصر جديدة للتداول داخل المجال العام، من خلال التركيز على قابلية المجتمع القطري، بتنوعه الثقافي والاجتماعي، للتفاعل مع التقنية والاستفادة منها لتوسيع مساحة الفعل التواصل. وتستند هذه الدراسة إلى مقاربات علامية اتصالية لتحليل معالم معالجة الإشكالية، ومن ثمّ رسم محددات التغيير وإمكانية الانتقال من السلبية إلى التفاعلية المجتمعية.

مشكلة الدراسة

موضوع هذه الدراسة هو تحديد دور الوساطة الذي أصبحت تضطلع به منصات التواصل الاجتماعي في دولة قطر؛ باعتبار هذه المنصات أدوات وسائطية رقمية يعتمدها المستخدم المتواصل القطري في متابعة الأحداث الراهنة. والسؤال الرئيس الذي نطرحه هو التالي: هل ساهم التفاعل عبر شبكات التواصل الاجتماعي في تشكيل فضاء اتصالي تداولي عمومي في قطر؟

نفرّع السؤال الرئيس إلى عدة أسئلة متكاملة تسعى إلى الإلمام بسياق الظاهرة وأبعادها: كيف تمارس التفاعلية لدى مستخدمي شبكات التواصل الاجتماعي؟ وهل استطاع تفاعل مستخدمي شبكات التواصل الاجتماعي التأثير في الثقافة التواصلية حول القضايا المجتمعية؟ إذا كان الجواب نعم، كيف سمحت الحالة التفاعلية بين المواطنين والفاعلين الحكوميين، عبر شبكات التواصل الاجتماعي، بتشكيل فضاء تداولي عمومي؟

استخدمت الدراسة منهجًا تركيبياً يلائم طبيعة البحث في ميدان علوم الاتصال والإعلام، بحكم تعدد مشاربه وتباينها؛ الأمر الذي استلزم اعتماد مقاربة منهجية مركبة ما بين التخصصات، تستقي مواردها وآلياتها من متابعة وصفية للحدث الإعلامي على المنصات، وتحليل تفاعل الجمهور معه، ومقارنته بباقي الأشكال التفاعلية. كما استفادت الدراسة من البيانات الشحيحة التي يوفرها موقعاً وزارة التخطيط والإسكان والمواصلات، ثم رصد «هاشتاغات» تخص نماذج استأثرت بمتابعة من القطريين بالتعليق والنقاش.

في مستوى الأدوات البحثية للدراسة، تمّ التركيز على دراسة حالة تفاعل الجمهور القطري مع حدثين طبعاً الحياة الاتصالية على منصات التواصل في بداية الموسم الدراسي خلال شهري أيلول/ سبتمبر وتشرين الأول/ أكتوبر 2018، أحدهما تربوي ثقافي، والآخر رياضي سياسي.

تستفيد الدراسة من مفاهيم نظريات الاتصال والتواصل. قبل الشروع، لا بد من التنبيه إلى أنه جرى بين بعض الباحثين في علوم الاتصال الجديدة التمييز بين:

- الشبكات الاجتماعية Social Networks: مفهوم أساسي من مفاهيم علم الاجتماع يحيل على العلاقات المنتظمة التي تجمع أفراداً ومجموعات ومنظمات، ويجري استخدامه اتصالياً على اعتبار أن مواقع الاتصال الحديثة هي موطن ومكان لإدارة هذه العلاقات بين الأفراد وإبرازها وتطويرها.

- الإعلام الجديد New Media أو الميديا الجديدة: ويشمل فئة جديدة من ميديا الاتصال تتيح التفاعل في إطار جماعة ما سواء أكانوا يعرفون بعضهم أم لا، يوجدون في مكان جغرافي واحد أم لا.

- منصات التواصل الاجتماعي Social Media: هو مصطلح يحيل إلى فئة واسعة من البرامج التي تقوم على عدة وظائف كالتفاعل ونشر المضامين وبناء شبكات من العلاقات الاجتماعية⁽¹⁾. ويبدو لنا أن هذا الوصف هو الأنسب والأكثر تعبيراً عما نحن بصدده، نظراً إلى استثماره تقنيات الإعلام الجديد ولا يرتكزه على التفاعل والتداول بين الأفراد والمجموعات.

(1) جامعة الدول العربية، عصر الميديا الجديدة، سلسلة بحوث ودراسات إذاعية، العدد 78 (نونس: منشورات اتحاد إذاعات الدول العربية، 2016)، ص 7، 126.

أولاً: مساءلة دور شبكات التواصل الاجتماعي في مجتمعات هجينة

ساعدت الوفرة المالية وسرعة ربط المجتمع في دولة قطر بالتقنية الرقمية، وتشبيكه معلوماً بتوطيد البنيات القاعدية وهيكلها الحديثة وفق مفاهيم الدولة العصرية المبنية، على تسريع وتيرة الولوج إلى مجتمع المعلومات. وفي الوقت نفسه، عملت على مواكبة عملية التحديث ومفاعيلها التطبيقية على الممارسة السياسية وتسيير الشؤون العامة وأركان المجتمع وموقع الفرد القطري داخل هذه التركيبة المتشابكة، التي أتاحت له أن يطوّر طرقاً جديدة للتأثير في القضايا العمومية.

لكن بالنظر إلى التركيبة الهجينة للمجتمع القطري وبناءه وهيكله الاجتماعية والسياسية والثقافية، التي تشكّل علاقات القوة والنفوذ والولاء⁽²⁾ وتعيد تشكيلها، وبالتدقيق كذلك في مجهودات الدولة المركزية في التحديث الفوقي الذي يعيد تشكيل المجتمع القطري ويهجن باستمرار المحلي بالعالمي، فإن ذلك أفضى إلى تولّد ثقافة وليدة مابينة لمحلية الذات ونسقتها الثقافي وكيفيات إدارتها المنبثقة من تحول المجتمع؛ فجرفت في ديناميتها المتوتبة أفواجاً ضمن أنساق اجتماعية جديدة، الأمر الذي أوجد أيضاً أنواعاً جديدة من الثقافات التواصلية، ارتهن بجهاز مستحدث من العلائق الاجتماعية حيث يختلط المحلي بالعالمي.

وفي هذا المجال، أدت وسائل الاتصال الحديثة، وتحديداً وسائل التواصل الاجتماعي، عقب توغلها في مفاصل الحياة اليومية للأفراد والمؤسسات، أدواراً محورية في تحدي أشكال التواصل الكلاسيكية التي تفرضها السلط السياسية والثقافية والاقتصادية وطرق انتقال المعلومة وتداولها. ويرجع أثر ذلك إلى الأهمية التي اكتسبتها هذه الوسائط التفاعلية لدى المجتمعات الانتقالية *Transitional Societies*، وخاصة تلك التي يغلب على ديموغرافيتها فئة الشباب (ممن هو تحت سن 30 عاماً، وبنسبة 64 في المئة يستعمل هذه الوسائط⁽³⁾) الناشئة في المدن العصرية، والمترعرة في ضروبها الذكية، والمتعلمة في جامعاتها الحديثة المحلية أو العالمية، والمتخرجة في مدارسها الوطنية المستقطبة أطراً أجنبية (عربية وغربية)، أو بحكم الابتعاث إلى الخارج، مما أفرز فضاءً جديداً له من المقومات والمحددات ما يكرس مخرجات «متمردة» على الثقافة التواصلية السائدة⁽⁴⁾.

وعلى هذا الأساس، تروم هذه الدراسة رصد دور هذه الوسائط الاجتماعية، والعمل على تتبع مفاعيلها وتحليل صيرورتها الأدائية والتكوينية في رسم معالم جديدة لاستمرار السلطة السياسية أو مساءلتها.

(2) انظر: هارفي مولوتش ودافيد بوزيني، «التوسع المدني الخليجي الجديد: حلات الاختبار، والحلول الالتفافية، وحدود المدن المستحدثة»، عمران، مج 7، العدد 28 (ربيع 2019).

(3) Fadi Salem, *The Arab Social Media Report 2017: Social Media and the Internet of Things: Towards Data-Driven Policymaking in the Arab World*, vol. 7 (Dubai: MBR School of Government, 2017), p. 32, accessed on 30/4/2019, at: <https://bit.ly/2rbpEGe>

(4) محمد قيراط ومحمد عايش، «استخدامات وإشباع الإنترنت، دراسة ميدانية تحليلية لشباب الإمارات العربية المتحدة»، في: ماجد بوشليبي وآخرون، ثقافة الإنترنت وأثرها على الشباب، وقائع ندوة علمية (الشارقة: دائرة الثقافة والإعلام، 2006)، ص 53.

ثانياً: تحولات الثقافة التواصلية في قطر

1. المجتمع القطري: مؤشرات ديموغرافية

وفق الأرقام الشهرية التي تصدرها وزارة التخطيط التنموي والإحصاء الخاصة بالأفراد من الأعمار كافة، الذين يعيشون داخل دولة قطر إلى حدود 30 كانون الأول/ ديسمبر 2018، فقد شارف العدد على 2674320 شخصاً، يبلغ عدد الذكور زهاء 2015284، في حين يبلغ عدد الإناث 659036⁽⁵⁾. وضمن هذا العدد، يصل تقريباً عدد الأجانب أو ما يصطلح عليه داخلياً بالمقيمين، ما يقارب مليونين و100 ألف أجنبي، أي أن عدد المواطنين القطريين يتخطى نصف المليون، وتحديداً 541669 شخصاً بنسبة 21 في المئة من إجمالي السكان⁽⁶⁾.

2. البنية التحتية للمجتمع الاتصالي في قطر

أدت الدولة في قطر الدور الأساس في الاستثمار ببنية تحتية بتكنولوجيا الاتصال، بهدف خلق مجتمع رقمي متكامل يتمتع جميع أفرادها بفرص متساوية للنفوذ إلى التكنولوجيا، عبر توفير فرص لتعزيز جاهزيتهم للمشاركة في بناء اقتصاد قائم على المعرفة⁽⁷⁾. ووضعت لأجل ذلك إستراتيجيات تهتم مجال المواصلات والاتصالات، من خلال إنشاء بنية تحتية وتشديد محطات ومراكز توصيل مفتوحة للجميع كحداث الإنترنت (الريميلة، الشيراتون، دحل الحمام، الخور، الوكرة، دخان)، بغية تحسين الأداء الرقمي وتجويده من خلال أنظمة كنظام التوثيق الوطني الذي يهدف إلى إدارة وحوكمة الهوية الرقمية لمستخدمي المواقع والبرامج الإلكترونية من الأفراد والشركات بغية توفير طرق متعددة تمكنهم من الدخول الموحد إلى جميع الخدمات الإلكترونية الحكومية على نحو سلس وسريع وآمن⁽⁸⁾، علاوة على بوابة الحكومة الإلكترونية «حكومي 3»، إضافة إلى بدء تنفيذ أول شبكة للجيل الخامس (5G) المتنقلة على مستوى العالم (كموقع سيف سبيس Safe Space)⁽⁹⁾.

وتندرج كل هذه المبادرات، بحسب وزارة الاتصالات والمواصلات، ضمن مخطط يرمي إلى جعل دولة قطر دولة رائدة إقليمياً في تبني أحدث التقنيات التكنولوجية المتقدمة، وتسير على طريق أن تصبح أمة ذكية⁽¹⁰⁾. وهو ما انعكس بحصول قطر على المرتبة 27 عالمياً والثانية عربياً (بعد الإمارات

(5) دولة قطر، وزارة التخطيط التنموي والاقتصاد، «إجمالي السكان المتواجدين في قطر»، شوهد في 2019/1/6، في:

<https://bit.ly/2VxUqET>

(6) المرجع نفسه.

(7) «شؤون المجتمع الرقمي»، وزارة المواصلات والاتصالات، شوهد في 2019/4/30، في: <https://bit.ly/2PzN1xE>

(8) «الوزارة تطلق نظام التوثيق الوطني 'توثيق'»، وزارة المواصلات والاتصالات، 2019/3/7، شوهد في 2019/4/30، في:

<https://bit.ly/2GUJJJC>

(9) «شؤون المجتمع الرقمي».

(10) دولة قطر، وزارة الاتصالات والمواصلات، الوزارة تصدر تقريراً عن برامج ومبادرات المجتمع الرقمي بمناسبة اليوم العالمي

لإنترنت أكثر أمناً، 2018/2/5، شوهد في 2019/01/8، في: <https://bit.ly/2RCrMFy>

العربية المتحدة في المرتبة 26) في مؤشر جاهزية الشبكات بالتقرير العالمي لتكنولوجيا المعلومات لعام 2016 الصادر عن المنتدى الاقتصادي العالمي بجنيف World Economic Forum⁽¹¹⁾.

3. مستويات استعمال القطريين الوسائط الاتصالية

سجل المجتمع القطري في السنوات الأخيرة استخدامًا كبيرًا للإنترنت، بلغ نسبة استخدام قاربت 100 في المئة بعد أن كان في حدود 85 في المئة سنة 2013، بما يناهز 45 ساعة أسبوعيًا بحسب دراسة مسحية قامت بها جامعة نورثويسترن Northwestern⁽¹²⁾. وأتت وسائل الاتصال الاجتماعي في مقدمة النشاطات؛ ف93 في المئة من السكان يستخدمون برامج واتساب، و70 في المئة أنستغرام، و64 في المئة سناب شات، وهي النسبة الأعلى في العالم العربي، ثم يعقبه برنامج تويتر في الترتيب. وتُوج هذا التألق على حساب أشهر مواقع في العالم، وهما فيسبوك الذي تراجع إلى 23 في المئة، ويوتيوب إلى 39 في المئة سنة 2017⁽¹³⁾.

وتوصلت دراسة جامعة نورثويسترن نفسها بقطر إلى أن ثلثي المواطنين يستقون موارد أخبارهم من الهواتف الذكية⁽¹⁴⁾. في المقابل، يتنوع الوعي بهذه المنصات من لدن الرجال والنساء؛ ف57 في المئة من النساء على دراية بسنابشات، بينما لم تتجاوز نسبة استخدامهن الفعلية 15 في المئة فقط. وعلى النقيض، نجد أن 45 في المئة من الرجال على دراية به، ومع ذلك كانت نسبة الاستخدام متماثلة تقريبًا، 14 في المئة. كما يلاحظ تفاوت في الاستخدام بين الجنسين، فرغم أن مستوى المعرفة بهذه المنصات عند الرجال أقل مقارنة بالنساء، فإنهم يفضلون فيسبوك وتويتر وبي إم BBM ومنتديات الإنترنت، في حين تميل النساء أكثر إلى استخدام أنستغرام واثاث Path والواتساب. يضاف إلى هذا، نقطة مهمة جدًا، وهي نظرة القطريين إلى هذه المنصات ومعرفتهم بأحدثها مقارنة بغيرهم، فباستثناء برنامج واتساب الذي يحتل فيه القطريون المرتبة الثانية بـ 97 في المئة مقابل معرفة 98 في المئة من باقي المجتمعات العربية، فإن لهم قصب السبق في معرفة آخر المنصات، مثل سنابشات بـ 77 في المئة مقابل 39 في المئة، وأنستغرام 97 في المئة مقابل 65 في المئة، وحتى تطبيق اثاث الجديد، فحوالي ربع القطريين قد سمع عنه في حين 7 في المئة من غيرهم⁽¹⁵⁾.

(11) Silja Baller, Soumitra Dutta & Bruno Lanvin (eds.), *The Global Information Technology Report 2016, Innovating in the Digital Economy*, World Economic Forum, INSEAD, Cornell University (Geneva: 2016), p. xiii, accessed on 30/4/2019, at: <https://bit.ly/29AZwRq>

(12) انظر دراسة جامعة نورثويسترن:

«Media Use in the Middle East, 2017, A seven-nation survey by Northwestern University in Qatar,» at: <https://bit.ly/2zaz7iH>

(13) شوقي مهدي، «القطريون أكثر اتصالًا بالوسائط الرقمية...» موقع لوسيل، 2018/9/29، شوهد في 2019/03/23، في:

<https://bit.ly/2ULrNpc>

(14) «Media Use in the Middle East».

(15) «التعرف على شبكات التواصل الاجتماعي في قطر»، وزارة الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات، آذار/ مارس 2015، شوهد في 2018/12/20، ص 7-8، في: <https://bit.ly/2ZKsT7p>

4. من دوافع الإقبال على الوسائط الاجتماعية

لا يمكن الحديث عن مستويات حضور وسائل التواصل الاجتماعي في المجتمعات الخليجية، من دون فهم دور الدولة الخليجية في إعادة تشكيل البنى الاجتماعية والثقافية المحلية⁽¹⁶⁾، وفي تهجين المحلي بالعالمي منذ منتصف سبعينيات القرن الماضي؛ على نحو أنتج نمطاً خاصاً وفريداً من التمدين الذي فرض عوائق بنيوية على نشوء مجال عام مستقل عن الدولة⁽¹⁷⁾.

أما ما يمكن ملاحظته هنا، هو أنّ التغير الهيكلي الاتصالي الناتج من كثافة استعمال الوسائط الاجتماعية قد ساهم إلى حدّ بعيد في التعويض عن نشوء المجال العام الذي أخره هيمنة الدولة على هرم التواصل إضافةً إلى التشرذم الذي يفرضه نمط التمدين الخليجي. لقد كان للاتصال الشبكي دور أساس في التشبيك المجتمعي القائم على المتابعة الحثيثة لقضايا الشأن العام وإبداء الآراء والمواقف نحوه.

ومن أجل مزيد من بيان دافع هذا الحضور، على نحو جعل تصنيف دولة قطر لا يتصدر قائمة الدول العربية فقط، وإنما لائحة التصنيف العالمي. وهذا يرجع في نظرنا إلى توليفة من العناصر نوردها كما يلي:

أول هذه العناصر يتصل بالطبيعة الديموغرافية لدول الخليج، سواء أكانوا المواطنين أم الوافدين الذين تغلب عليهم فئة الشباب بحكم استفادتهم للاشتغال في الورش وغيرها⁽¹⁸⁾؛ فطبيعة الإحصاءات، تبرز على نحو لا التباس فيه الحضور المكثف للفئات العمرية النشيطة، بغض النظر عن الحيز العمري؛ فالشرائح العمرية (18-24) و(25-34) سنة، تستخدم الإنترنت بنسب متأرجحة بين 96 و100 في المئة على التوالي. وهو ما يفسر انتشار الاتصال الكثيف بالشبكة العنكبوتية وتنوع أشكاله التوافقية التي تبدأ بتبادل الصور ونشر الفيديوهات، وتمر بالتعرف إلى أشخاص جدد، وطرح أسئلة، وتبادل وجهات النظر والأفكار⁽¹⁹⁾ المرشحة لأن تصبح قضايا رأي عام على منصات التواصل، ولا سيما الموضوعات التي تكتسي راهنية ورفاعاً ونشراً وتعليقاً.

الإمكانات المادية: ضخامة العائد المالي للدولة مقارنة بعدد السكان، وما يستتبع ذلك من تأمين بيئة مشجعة، وليست القدرة على شراء الهواتف الذكية، وإنما الحرص على اقتناء آخر موديلاتهما، مع الوصول الدائب لآخر البرامج والانتفاع بخدماتها سواء على الهاتف أم الحاسوب أم الأجهزة اللوحية . Tablets.

(16) انظر في ذلك: لؤي علي، «مدخل إلى فهم الصراع الاجتماعي في الكويت من خلال التصويت على القوانين الاقتصادية في مجلس الأمة الكويتي 2006-2012»، عمران، مج 7، العدد 28 (ربيع 2019).

(17) مولوتش وبونزيني.

(18) Salem, p. 39.

(19) «التعرف على شبكات التواصل الاجتماعي في قطر»، ص 5.

وقت الفراغ: كان قد أشار جان بودريار⁽²⁰⁾ إلى أن إحدى الميزات النوعية لحقبة الرأسمالية المتأخرة، لا تكمن في مظاهر الترف فحسب، وإنما أيضًا في قدرة الفرد على الترويح إبان أوقات الفراغ الزائدة، التي هي قيمة مضافة تتوارى خلف أوقات العمل والدراسة. وبالنظر إلى هذه اللقطة، يتمتع سكان قطر بمزية أخرى تضاف إلى سابقاتها، وهي التمتع بفراغ وقي يسمح بمناورة أكثر، ومن ثم إمكانية اتصال يومي، وخصوصًا عقب الدوام الرسمي. علاوة على فئة النساء، اللواتي يتوفرن على خدم منازل، الأمر الذي يسمح لهن بالاتصال الآني، ويجعلهن أكثر معرفة من الرجال بمنصات التواصل الاجتماعي؛ فمعرفةهن بشبكة تويتر تفوق معرفة الرجال بـ 6+ في المئة وبي بي إم 10+ في المئة وسنابشات 12+ في المئة. بيد أن انهماكهن يردفه التوجس من الممل، الذي قد يكون باعًا على هجرهن شبكات التواصل بنسبة قدرت بـ 49 في المئة من القطريات و35 في المئة من المقيمات⁽²¹⁾.

قيود على الحريات: وبخاصة لدى الشباب الذين يعتبرون هذه الوسائط أدوات فعالة للتعبير عن رأيهم خلسة من خلال معرفات وهمية وأسماء مستعارة، بدل المجاهرة والخروج للعلن كما يسود في باقي المجتمعات، التي تنعم بجو عالٍ وسقف مقبول من الحركة السياسية والحرية في الرأي والنقد العلني. فبحسب دراسة جامعة نورثويسترن السابقة، عبّر 14 في المئة من القطريين عن كونهم لم يمانعوا فكرة انتقاد الحكومة على الإنترنت⁽²²⁾، وهي نسبة من أقل النسب في العالم العربي مقارنة بلبنان مثلاً، الذي تخطت نسبته حوالى الثلثين، ما يؤكد رقابة السلطات السيلاان الاتصالي على المنصات، رغم الخطوات البروتوكولية التي أقدمت عليها دولة قطر في ميدان حرية التعبير والنشر.

ثالثاً: نحو مسعى نظري لفهم الفعل الاتصالي

منذ أن لوحظ انكباب هائل على الوسائط الاجتماعية، انصبت عدة مقاربات عليها بغرض معالجتها وسبر مدى حضورها من ناحية أولى، في قائمة التغيرات الفارقة على مدى أزمان متعاقبة من الفعل الاتصالي، ومن ناحية ثانية، لرصد مستويات التغير في طبيعة هذا الاتصال وفهم كنهه وأثره في انتقال المعلومة وانتشارها، ومن ثم، معرفة سبل التأثير والتأثر وأضرار التبدل السياسي.

ومع أخذ التداخل المتشعب والترابط التاريخي والفرضي لهذه المقاربات المنهجية في الاعتبار، من حيث الغاية والموضوع والوسائل؛ فجّلّها مقاربات رامت تحليل فعل الاتصال وتفكيك أنساق نتائجه تحت مظلة وسائط الإعلام الجماهيري Mass Media، ومعالمتها داخل المجتمع، باعتبارها وسيلة من وسائل نقل المعلومة وتبيين أنماط تداولها، ومن ثم دراسة أشكال السلط الإعلامية وما تتمخض عنه من آثار.

(20) Jean Baudrillard, *La société de consommation, ses mythes, ses structures* (Paris: Gallimard, 1970), p. 25.

(21) «التعرف على شبكات التواصل الاجتماعي في قطر»، ص 6-7.

(22) «Media Use in the Middle East, 2017».

1. محاولة علامائية

أنيط بالخطابة قديماً وحديثاً جذب المتلقي، باعتباره مرسلًا منشوداً⁽²³⁾، يتأطر ضمن مساقات الوظيفة الإفهامية (تفريعات جاكوبسون). وفي هذا الصدد، تناولت سيميولوجيا التواصل الخبرة الاتصالية بوصفها نسقاً ينقل العلامة الدالة بين المرسل والمستقبل، ضمن منحى أحادي يقصد دلالة تثير استجابة تأويلية⁽²⁴⁾، حتى لا تعدو مجرد نقل أو إبلاغ Informatisation. الأمر الذي يجعلنا نلاحظ تواصلًا هادفًا، سيج لدى Buyessens في الخبرات المدركة في إشارات⁽²⁵⁾ Signals متصلة بتخوم الوعي وكوامن الإدراك، فتتشكل ظواهر عاملة على التأثير عبر متتالية خطابية، لا تدل ولا تؤثر إلا إذا اقترنت سياقياً بوضعية كاتجاه أسهم إشارات المرور ولونها⁽²⁶⁾. ولا نجد في التواصل الاجتماعي أفضل من يعبر عن هذا، من الأيقونات التي تُركن في الرسائل والتغريدات؛ فصور فيسبوك ورسوم تويتر والكتابات/ الرسوم التصويرية Emoji/ Pictogramme⁽²⁷⁾ والمبتسمة Smileys لا تخطئ العين. هي عناصر تروم تعويض غياب القناة غير الشفهية ونبرة الصوت ومحدودية المرجع؛ أي انعدام المؤشرات شبه اللغوية Paralinguistic كتعبير الوجه وحركية الجسد Mimogestualité⁽²⁸⁾، وتموضعات اللياقة⁽²⁹⁾. فتفصح عن الخوالج المبطنة IRL⁽³⁰⁾، وتفتح المجال لأبعاد بدائية وطفولية وهزلية. ولأنها صناعة معلومائية، فإنها تتعدى اللغة الوسيط بين الفرد وتجريده للعالم، لسماحها بإيجاد فصل بينه وبين الجسد منبع تلك المشاعر. وهكذا، تغدو هذه الرموز اليابانية المنشأ، بالنسبة إلى الأجيال الما بعد حديثة، أدوات لإعادة الارتباط بالقديم عبر التوسل بالمعلوماتي⁽³¹⁾، وبآليات رمزية لإنجاز مباشرة كتابياً بدلاً من مباشرة الشفهية⁽³²⁾.

وعلاوة على نقل الفكرة، فإثبات الذات وعرضها يسمح بإرساء فعل تصويري يجعل منها الذات العارضة/ المعروضة مختزلة في صورة أو جملة تبلور فلسفتها الأنطولوجية. ولم يقتصر انتقالها من الواقعي إلى الافتراضي، بل بدلت من مفهوم التواصل المزوج بين الفعل والمتعة التداولية، لاستقائها

(23) Georges Peninou, «Physique et métaphysique de l'image publicitaire,» *Communications*, no. 15 (1970), p. 101.

(24) مبارك حنون، دروس في السيميائيات (الدار البيضاء: دار توبقال، 1987)، ص 16.

(25) Georges Mounin, *Introduction à la sémiologie* (Paris: Minuit, 1970), p. 12.

(26) أمبرتو إيكو، السيميائية وفلسفة اللغة، ترجمة أحمد الصمعي (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2005)، ص 60.

(27) كلمة يابانية مكونة من e الصورة، وmoji الحرف، وتعني صورة صغيرة Pictogramme للدلالة على تعبير أو أحاسيس أو شيء ما.

(28) Michel Marcoccia, & Nadia Gauducheu, «L'analyse du rôle des smileys en production et en réception: un retour sur la question de l'oralité des écrits numériques,» *Glottopol*, no. 10 (juillet 2007), p. 43.

(29) Marc Aguert et al. «La communication expressive dans les forums de discussion: Emotions et attitude ironique chez l'adolescent,» *Tranel*, no. 57 (2012), p. 66.

(30) In Real Life.

(31) Marie Vaton, «Parlez-vous 'emoji'?» *L'Obs*, no. 2614, 11/12/2014, p. 117, accessed on 10/12/2018, at: <https://bit.ly/2J0ZqkG>

(32) Marcoccia & Gauducheu, p. 43.

من ذرائعية الوجوه الصفراء⁽³³⁾ Emoticon و Sticker نجاعة لعبية، تكاد تهيمن على الخطاب البيئي؛ خطاب لا يكثرث للتقعيد النحوي، بقدر ما يروم فقط السياق أداةً للتخاطب بتدعيمه وكشفه، إضافة إلى ملء الفراغ الملاحظ⁽³⁴⁾. وهو ما تمّ مثلاً، في الثورات العربية، وخصوصاً الثورة السورية، بحشد رموز افتراضية أعلنت قيمًا وياضات، سحبت في مراحلها السلمية، من الواقعي دوره في الساحات، وجعلت من رموزه في عالم التواصل الافتراضي جدلاً، واقفاً حقيقياً متداولاً على أرض المعركة⁽³⁵⁾. وهكذا، تسترعي الوضعية الخطابية تحولاً ينحو إلى بلورة التجربة إلى نوع من الطقوس⁽³⁶⁾ Ritualization.

2. فعل التواصل، من الخطية إلى التفاعلية

إثر ظهور تأثيرات الإعلام اجتماعياً وسياسياً، اقترح ماكلوهان McLuhan، مقترباً مفاده وجود تعالق بين القوائم بالرسالة والوسيلة، مؤكداً أهمية الأخيرة في تحديد نوعية الاتصال وتأثيره، فالوسيلة هي الرسالة. بمعنى أن طبيعة الوسيلة، وليس فحواها، هي الأساس في تشكيل المجتمعات وتوليد التمثلات، بالنظر إلى أن لكل منها جمهوره الخاص. وبناء عليه، كان وسيكون للوسائط التي يستخدمها المجتمع وقع كبير في بلورة طبيعته، وأسلوب معالجته لمشاكله⁽³⁷⁾. وأيضاً وسيلة، هي امتداد لحواسه، وتشكل ظروفًا تؤثر في تفكيره، ومنه، سيكون لاستخدام المجتمعات الحديثة المنصات التواصلية، أثر في نشوء جو اتصالي يتسم بسمات الوسيلة الافتراضية نفسها. ما سيسهم في بروز قرية كونية⁽³⁸⁾ Global Village تفتح الباب أمام زمن ميدياتيكي Mediatc تنساب مجرياته على خطوط وسائطية⁽³⁹⁾.

يلوح لنا من تعقب هذا التشعب النظري، الذي رام فهم التجربة الاتصالية في تمثلاتها الأولى، أنه بناء نسقي منذ موديل شانون وويفر Shannon & Weaver⁽⁴⁰⁾ المغشى بالخطية Linear. وهو تصور وصفه فينكن⁽⁴¹⁾، شكلاً، بالنموذج التلغرافي Telegraphic Model المستند إلى فعل الإرسال ومساق التشفير Encoding، وما يرافقه من احتمالية تشويش، مع سلبية واضحة للمتلقّي، وتكويناً، بالكلّي منطقياً، لجمعه عناصر الاتصال الأساسية، بالرغم من تبرم ستيوارت هال Stuart Hall إزاء هذا البرادينغم. لأنه في نظره، لا يمكن اعتبار الفعل الاتصالي خطاطة أو منظوراً أفقياً يسهل حصره

(33) Emotion+icon.

(34) Marcoccia & Gauducheau, p. 33.

(35) حمزة المصطفى، «جدل الواقعي والافتراضي»، في: مجموعة مؤلفين، خلفيات الثورة، دراسات سورية (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2013)، ص 456.

(36) Henri Boyer, *Introduction à la sociolinguistique* (Paris: Dunod, 2001), p. 29.

(37) أنتوني غيدنز، علم الاجتماع: مع مدخلات عربية، ترجمة فايز الصياغ (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2005)، ص 510.

(38) علي عبد الفتاح كنعان، نظريات الاتصال والإعلام الحديث (عمّان: دار الأيام، 2016)، ص 71.

(39) بسمة قائد البناء، تويرت والبناء الاجتماعي والثقافي لدى الشباب (عمّان: المؤسسة العربية للنشر والتوزيع، 2014)، ص 136.

(40) سعيد بنكراد، الصورة الإشهارية: آليات الإقناع والدلالة (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2009)، ص 24-25.

(41) Yves Winkin, *La nouvelle communication* (Paris: Seuil, 1981), p. 20.

تخطيطيًا، ومن ثم، اقتراح فروض حدّية. إنه فعل يجمع ميكانيزمات متداخلة تكاد تشابه الإنسان ذاته الموسوم بالتركيب. ومنه، يصبح الفعل الاتصالي متتالية تُفتّح بالإنتاج، عبر أداة نقل وتوزيع، في اتجاه استهلاك ثم إعادة إنتاج⁽⁴²⁾.

وبالموازاة مع صعود نجم تيار التواصل الجديد New Communication، غدا التفسير الاتصالي فعلاً معقدًا منبعثًا من حتمية تواصلية لا يمكن الانفكاك منها. وكان لرواد مدرسة بالو ألتو Palo Alto⁽⁴³⁾ إسهام تأسيس في رسم صياغة نموذج أوركسترا الخفي Invisible Orchestra؛ فكلنا نشكل جوقة غير مرئية ومن دون رئيس، تشتغل تواصلًا بانتظام وبأطراد الأدوار، ضمن منظومة ثقافية لها من المعايير والطقوس ما يصيّر قنوات المتواصلين مفهومة، بقصد توليد المعنى وصهر ظواهر اجتماعية تدمج العلامات بالسيما⁽⁴⁴⁾ داخل سنن سيكوثقافي، يقتدر على بلورة تواصل يستقي فاعليته من السياق⁽⁴⁵⁾، ويبنى منظورًا يتشوف إلى استبصار ما نحا إليه هيمز Hymes في إثنوغرافيا التواصل المراعية للملكة التواصلية، حيث ربط اللغة التواصلية بمحيطها الاجتماعي⁽⁴⁶⁾.

وبالطبع، أضفت مقولات إعادة الإنتاج على المتلقي شرعية انتقائية - السوسيولوجيا الأميركية⁽⁴⁷⁾ - في تعاملها مع المعارض الاتصالي، ما أضعف الثلاثية⁽⁴⁸⁾ الخطية الشرطية والسيكوسوسيولوجية واللسانية. فلم يبق إلا إعلام مشوه على حد تعبير هابرماس، يستحسن تحريره من الهيمنة الفوقية⁽⁴⁹⁾ كيف ما كان مصدرها، سياسية أم اجتماعية أم ثقافية.

3. المجال العام الافتراضي

أمام التحدي المنهجي لصياغة مقرب شامل يروم فهم التجربة الاتصالية، وبالنظر إلى الإشكالات التي طرحها انبعاث التيار الاشتراكي على المستويين المفاهيمي والتطبيقي، مع تلكؤ التصور الليبرالي عن تقديم بصيص من العدالة للمجتمعات المعولمة، مثلت نظرية المجال العام Public Sphere Theory اجتماعيًا وسياسيًا على يدي يورغن هابرماس Jürgen Habermas منعطفًا حاسمًا في درس

(42) Stuart Hall et al., «Codage/ Décodage», *Réseaux*, vol. 12, no. 68 (1994), p. 29.

(43) Jean-Luc Maurin, «Anthropologie de la communication de la théorie au terrain de Yves Winkin», *Communication et organisation*, no. 9 (1996), p. 1, accessed on 15/9/2018, at: <https://bit.ly/2PErIXP>

(44) كريستوفر نوريس، التفكيكية: النظرية والممارسة، ترجمة صبري محمد حسن (الرياض: دار المريخ، 1989)، هامش ص 35-36.

(45) Léonie Marin, «Pour une anthropologie de la communication: Entretien avec Yves Winkin», *COMMposite*, vol. 13, no. 1, (2010), p. 113, accessed on 7/10/2018, at: <https://bit.ly/2Iliian>

(46) عبد الكريم بوفرة، علم اللغة الاجتماعي، نسخة إلكترونية، موقع الألوكة، ص 8، شوهد في 2019/4/30، في: <https://bit.ly/2VA20nj>

(47) Marie-Pierre Fourquet, «Un siècle de théories de l'influence, histoire du procès des médias», *Médiation et information*, no. 10 (1999), p. 106.

(48) Dominique Picard, «De la communication à l'interaction, l'évolution des modèles», *Communication et langages*, no. 93 (1992), pp. 70, 72, 73, 75, 76, 77, 78.

(49) توم بوتومور، مدرسة فرانكفورت، ترجمة سعد هجرس، ط 2 (طرابلس (ليبيا): دار أويا، 2004)، ص 112.

الخبرات البرجوازية المتمثلة في المجتمع المدني، المؤتلف من عدد من الأفراد يجتمعون في أماكن مفتوحة كالنوادي⁽⁵⁰⁾، لمناقشة القضايا التي تثير اهتمامهم وتشغل بالهم بصفتهم مواطنين مشاركين في السياسة، ما يتمخض عنه تشكيل الرأي العام⁽⁵¹⁾. ولا يُنشد ذلك، إلا بافتراض حيز حر يسمح بتداول المناقشات، خصوصاً من لدن من أقصوا سابقاً في المشاركة لسبب ما، ثم أهمية القضية المطروحة بغض النظر عن صفة طارحها أو مكاتته. وينجز هذا، تحت ظلال محاكاة إيتيقية Ethic تكون نقطة أولانية لكل ما يمكن التوصل إليه من بنية عقلانية، يكون الركون إليها بصيغة مثلى داخل مجتمع⁽⁵²⁾ أسست فيه الوسائط الإعلامية مجالاً عاماً يتيح التعبير للجمهور المتلقي وينقد رأس السلطة⁽⁵³⁾.

وإزاء رواج وسائل الإعلام واعتمادها مصدرًا للأخبار ومحللة لها، أسفر عن اتصال أحادي، كانت محصلته تضيق فرص النقاش والتفاعل. واستمكن تطورها وفق برنارد ميهج Bernard Miège من خلال أربعة نماذج للتواصل، انطلقت مع صحافة الرأي، ثم الصحافة التجارية الجماهيرية، وبعدها الإعلام السمعي البصري الجماهيري، وأخيراً التلفزة الجماهيرية⁽⁵⁴⁾. ونضيف خامساً ما يتجلى في الإنترنت وتستخدم منصات التواصل ذروتها، حيث أتيح إمكانية التعبير وإبداء الرأي في القضايا التي تهتم الجماعة، انطلاقاً من حس مشترك يعترف باعتقادات متقاسمة تبنى على مسارات نقدية بين الأفراد⁽⁵⁵⁾، على نحو أدى إلى استنبات مجال عام، ييسر تبادل المحتوى الإلكتروني ويأذن بتكون مفهوم جديد للتجربة الاتصالية في العالم الرقمي. لذا فإن هذه الشبكات قد اجتهدت في إتاحة الفرصة لميلاد مجتمع مدني من نوع آخر، ضمن صياغة رؤيوية رقمية للمجال أطلق عليه المجال العام الإلكتروني Electronic Public Sphere صاحبه مصطلح آخر أكثر تناظرية، هو الديمقراطية الرقمية Digital Democracy.

وبالرغم من المساهمة المشهورة لها برماس، فإن حيرة شابت مدى ترجمتها ومواءمتها لفورة الإنترنت ومواكبتها مواقع التواصل الاجتماعي⁽⁵⁶⁾، لا سيما أن حده النظري اعتبر توصيفاً معيارياً مثاليًا يحد من كونيته لأنه يجعل منه مقياساً لتقييم الطابع الديمقراطي للمجال العمومي وعقلانية نقاشاته، زيادة على

(50) أسماء حسين ملكاوي، أخلاقيات التواصل في العصر: هابرماس نموذجاً (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2017)، ص 117-118.

(51) علي عبد الفتاح كنعان، الإعلام الإلكتروني (عمان: دار الأيام، 2016)، ص 11.

(52) جان مارك فيري، فلسفة التواصل، ترجمة عمر مهيبل (الجزائر: منشورات الاختلاف؛ الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي؛ بيروت: الدار العربية للعلوم، 2006)، ص 17.

(53) كنعان، الإعلام الإلكتروني، ص 12.

(54) عبد اللطيف بن صافية، «وسائل الإعلام والمجتمع المدني في الفضاء العمومي: الحراك العربي بين ثقافة المواطنة والديمقراطية»، مجلة اتحاد إذاعات الدول العربية، العدد 4 (2011)، ص 16.

(55) فيري، ص 68.

(56) ملكاوي، ص 49.

محدودية استعماله في العالم العربي بسبب ارتباطه بتاريخ الحداثة الغربية وبالتاريخ السياسي والثقافي للمجتمعات الغربية؛ الأمر الذي يصير استخدامه عملية غير آمنة إستيمولوجياً⁽⁵⁷⁾.

لقد بلور الفضاء الرقمي مجالاً أوسع أفقاً وأرحب تفاعلاً من ذلك الذي ذهب هابرماس إلى التماسه أو التشوف إليه، لأنه مجال وفرّ عنصر الانعكاس الفوري من خلال:

تفاعل عمودي رسمي بين رواد المجال الإعلامي وأفراده.

تفاعل أفقي أو بالأحرى انتشاري بين أفراد الجماعة.

وهذا ما يوسع المجال العمومي إلى فضاء مشترك - كما يقول دومينيك فولتون Dominique Wolton - أفسح من ذلك الذي قصره هابرماس على التمثيلية السياسية⁽⁵⁸⁾.

ولتأكيد هذا الانزياح، بتنا نلاحظ تحولاً كبيراً على المستوى الإشعاري لدى المشتركين؛ ففي المراحل الأولى من ظهور هذه المنصات، كان الغالب التسجيل بأسماء مستعارة ومعرّفات غير حقيقية، ثم بدأت مرحلة من العلانية والمجاهرة في إبداء الأسماء وإظهار الصور الشخصية مشفوعة بآرائهم وتدويناتهم. حينها، لم يعد الاتصال افتراضياً، بل بتنا أمام تفاعل بين الواقعي والرقمي، حيث انتقل الواقعي، فأنتج الافتراضيّ الواقعيّ، وانعقد تشابه بين الواقعيين بفضل تعبير الأول عن الثاني، وبتبني وتعميم الثاني الاصطناع والمصطنع⁽⁵⁹⁾.

وفي هذا السياق التكاملي بين العالمين، عالم واقعي وآخر افتراضي، وبروز مديات اتصالية كونية تحتضن الفرد وعلاقاته، والمجتمع وباقي المجتمعات، وأمام الانتقادات التي وُجّهت إلى المجال العمومي في رؤيته الهابرماسية، ظهرت نظرة جديدة حاولت تخطي المعيارية والمثالية الهابرماسية إلى التأكيد على العمق الجمالي الإستطقي للمجال العمومي الحديث. لأنه مجال إجرائي، يرمي إلى تحقق التمثيل الإعلامي للأحداث الاجتماعية والسياسية والثقافية، من خلال إشهار الأفكار والآراء ونشرها للعموم.

هذا التفكير الإجرائي الجديد ينظر إلى الإنسان المتواصل في عموديته العملية، ويتجاوز مثاليته المعيارية العقلانية. إنه تفكير لا يستند في أسسه، بناءً على نقاشات القرن الثامن عشر كما استقاهها هابرماس، وإنما إلى طروحات فكر حنا أرندت Hannah Arendt التي تعتبر المجال العمومي مجال تجلي الإنسان للآخرين، مجالاً مشتركاً من حيث هو سياق للفعل الإنساني ومجال تتحقق داخله المواطنة التي تفترض الحق في المشاركة⁽⁶⁰⁾. وهو ما يمكننا من الزعم أن جزءاً منه قد تجلّى في

(57) الصادق الحمامي، «الميديا الجديدة والمجال العمومي، الإحياء والانبعاث»، مجلة اتحاد إذاعات الدول العربية، العدد 3 (2011)، ص 15، 17.

(58) بن صفيّة، ص 16.

(59) آزاد وآخرون، ص 432.

(60) الحمامي، ص 17.

الحركات الاحتجاجية التي شهدتها العالم العربي في بداية العقد، ولا زلنا نتابع مجرياتها في الجزائر والسودان⁽⁶¹⁾. كان لهذه المنصات دور لا ينكر في توصيلها بالأخبار والأحداث، ومن زيادة وعيها بضرورة الولوج إلى المجال العام من بوابته الافتراضية، ومن ثمّ النزول إلى الشارع والمطالبة بالتغيير والحق في إسماع صوتها الذي كان سنوات مهمّشًا.

رابعًا: التواصل الاجتماعي في المجتمع القطري (نموذج تويتر)

لفهم أعمق لحضور الوسيط الشبكي داخل المجتمع القطري وتفهم دوره، وقع اختيارنا على تطبيق تويتر حالةً للدراسة، لأجل رصد القضايا التي أثارته وشغفت أفراده. ولم يكن اختيار تطبيق تويتر على غيره من البرامج الأكثر استخدامًا ودراسة، خاصةً فيسبوك وواتساب، اعتباريًا، وإنما لأسباب موضوعية، منها:

استخدامه من لدن كثير من المؤسسات الرسمية ورجال السياسة (في العالم والخليج⁽⁶²⁾) وقادة الرأي منصفةً لإبداء آرائهم، ما جعله الأكثر تفضيلًا لدى القطريين، رغبةً منهم في الاطلاع على آخر الأخبار، علاوةً على تطبيقَي واتساب وأنستغرام. وهو الأمر الذي استحث نخبة الفاعلين في الشأن العام إلى توظيف ما عُرف إعلاميًا باسم «الذباب الإلكتروني» بغية تحقيق مستويات نشر وتوجيه لدى المجتمع.

تميزه بسهولة متابعة رأي المغرد ومعرفة رأيه، زيادةً على قدرته على معرفة عدد المغردين ونسبة الزائرين للحساب وخصائص جغرافيتهم والأداة التي تعرفوا بها على الصفحة. إضافةً إلى بياناتهم الشخصية ومدة تصفحهم، مع إمكانية الاطلاع على مرات إعادة التغريدة ونسبة النشر بين المجموعات⁽⁶³⁾. لذا، نُظر إليه باعتباره مؤثرًا من مؤشرات قياس الرأي العام؛ ما جعله يحمل طابعًا احتجاجيًا كميًا من خلال نسب الـ «هاشتاغات»، التي تشبه كاميرا المجتمع وتؤثر إلى منسوب الاتجاهات ومتابعة للحظة الراهنة⁽⁶⁴⁾.

وفي ضوء هذا، عملنا على تتبع قضيتين شغلنا الرأي العام القطري ونشطنا الفضاء العمومي الاتصالي بمكونيه الكلاسيكي والجديد أو ما يسمى بالافتراضي، وهذا بالتركيز على إبراز مستويات هذه الوسائط في بنية المجتمع وأثرها. وهما خبران تحولوا إلى حدثين عموميين بفضل تفاعل مستخدمي شبكات التواصل الاجتماعية معهما بالتعليق والحجاج. وهذا ما يبرز في العدد الهائل من التعليقات وطولها وامتدادها زمنيًا. أنتج هذا التخاطب الاجتماعي بين الفاعلين والمواطنين العاديين زخمًا

(61) عيسى مراح، «التنديد والاحتجاج عبر شبكات التواصل الاجتماعي: نحو تجديد أشكال المشاركة السياسية في الجزائر»، عمران، مج 7، العدد 27 (شتاء 2019)، ص 53-71.

(62) للاطلاع على ترتيب أكثر السياسيين استخدامًا له، كالرئيس الأميركي السابق أوباما وآل غور وغيرهما، انظر:

Kate Bussmann, *A Twitter year* (New York: Bloomsbury, 2011), p. 10.

(63) Deirdre K. Breakenridge, *Social media and public relations* (New Jersey: Pearsons Education, 2012), p. 44.

(64) قائد البناء، ص 72.

إعلاميًا وسياسيًا، وهذا ما أثرى المشهد الاتصالي على منصات التواصل إبان بداية الموسم الدراسي، وبالضبط في شهرَي أيلول/ سبتمبر وتشرين الأول/ أكتوبر 2018.

1. هاشتاغ تغيير المقرر الدراسي للتربية الإسلامية

أجج كتاب الطالب لمادة التربية الإسلامية للصف السابع، جدلاً وزوبعةً على مواقع التواصل الاجتماعي؛ لإدراجه نصًا مدرسيًا يفسر عملية الاحتلام بقوله: «الاحتلام، أمر طبيعي، يحدث للولد إذا كبر، ويكون أثناء نومه، فيرى وكأنه يفعل فعل الأزواج ثم ينزل منه المنى ويشعر باللذة».

هذا النص أجج لغطاً إعلامياً على المستويين الشعبي والرسمي؛ فعلى المستوى الشعبي تحركت الآلة التواصلية على موقع تويتر لتندد بوجوده، فوصفوه بأنه خادش للحياء ويتنافى مع العادات والتقاليد المحافظة والمحترزة في دراسة هذه المواضيع أو عرضها. وكان من الأولى، بحسب ما يرون، أن تُنتقى الكلمات وتختار العبارات المواتية لسن الطالب بما لا يثير لديه تصورات أو تمثيلات تفوق عمره.

حدث كهذا، كان لو وقع حتى عهد قريب، لاقتصر نقاشه على مستوى الإعلام الرسمي كالقنوات (أول محطة كانت سنة 1970) والجرائد. وهو فعلاً ما دفع جرائد كجريدتي الشرق والوطن⁽⁶⁵⁾ إلى رصد آراء المواطنين وسبر غضبهم إزاء هذه القضية لكن بأسلوب تحريري رسمي؛ بمعنى أن الموضوع كان في الإمكان أن يُعالج وفق الخطاب الرسمي الأحادي على أنه خبر لا يقبل النقاش، كما أن طبيعته الإقصائية تمنع أصلاً الاعتراف بوجود موقف آخر وبحامليه ومسانديه من الفاعلين والمواطنين، وكذا بحججهم وخاصة تغييب مرحلة تحديد المسؤوليات.

غير أن رحى النقاش كانت محتدمة على موقع تويتر، الذي وجد فيه المتابعون مؤثلاً للإعراب عن آرائهم القيمة وفتح النقاش أبعد من ذلك. أي أنه تم تجاوز المسألة المحبوكة في عبارة لغوية مستهجنة بحسب المغردين، إلى الحديث عن دور الوزارة وطبيعة القائمين على المناهج وجنسياتهم، ثم التساؤل عن المواد المُدرسة والتعليميات ومحتوى البرامج⁽⁶⁶⁾، بل إن النقاش حرّك دفة أخرى، وهي المطالبة بمحاسبة ذوي المناصب وضرورة تحمل مسؤولياتهم. يمثل هذا العنصر الأخير محرك النقاش، وهذا من خلال إلحاح المستخدم المعلق على تحديد المسؤولية وتحملها في ما سمي «سوء التقدير»، و«التقصير»، و«الإساءة»، و«الخطأ المهني». وهي كلها مسميات تتجاوز مستوى الحدث لتتحول إلى مستوى نزع القدسية والعصمة عن الفاعل السياسي، وفتح النقاش المجتمعي للقضايا العامة التي ظلت من اختصاص الفاعل الحكومي في المجالس المغلقة.

(65) «التعليم يعقد مؤتمراً صحفياً للرد على الجدل المثار حول المناهج الجديدة ظهر اليوم الإثنين»، موقع جريدة الشرق، 2018/9/10، شوهد في 2019/01/7، في: <https://bit.ly/2NrLiCR>

(66) عماد مراد، «جدل بشأن المناهج الدراسية الجديدة بقطر»، الجزيرة نت، في 2018/9/12، شوهد في 2019/01/8، في:

وفي قمة هذا الزخم التغريدي خاصة مع معالجته إعلاميًا وسياسيًا، اضطرت الوزارة الوصية إلى الإعلان عن عقد مؤتمر صحفي لتدارك الأمر والإفصاح عن الخطوات العاجلة المتخذة في هذا الشأن. وهو ما كان غير مألوف في الممارسة الحكومية والفضاء العمومي؛ حيث إن التدخل الحكومي بالتدارك يمثل اعترافًا رسميًا بالمشكل من لدن الوزارة الوصية عبر حسابها على تويتر⁽⁶⁷⁾ وهذا ما يسمى بالبناء الإعلامي للمشكلات العمومية.

كما أن الوزارة، ولأجل إصلاح الزلل المرصود وسائطيًا وتخطي الشجب الذي أثاره أولياء الأمور، نشرت على موقعها الإلكتروني إستبانه بعنوان «التغذية الراجعة حول مصادر التعلم»، التمتست منهم ومن جميع أطراف العملية التعليمية ملاءها، والإجابة عن مقترحات التطوير ووضع الملاحظات⁽⁶⁸⁾. وانتهى البيان إلى شكر المتابعين والمهتمين الذين لا يصلح التعليم في قطر ولا يواصل تطوره لولا المشاركة التفاعلية للمجتمع وناشطيه. وهذا ما يعني اعتراف الفاعلين الحكوميين ب بروز فاعلين آخرين منبثقين من المجتمع قادرين على النقد البناء والاقتراح.

شكلت هذه القضية التربوية الثقافية مثالًا بارزًا لما يمكن أن تؤديه شبكات التواصل الاجتماعي من دور في مراقبة الشأن المحلي ومتابعة قضاياها الراهنة، وما يستتبع ذلك من رصد ونقد وتوجيه، ومن ثم جعل المسألة المجتمعية قضية تحظى بالاهتمام العمومي؛ أي أن المجال الافتراضي العام سمح بالتأثير في هرم الاتصال. ومنه، غدت شبكة «قادة الرأي» أكثر اتساعًا من ذي قبل؛ ما جعلها تنحطى نخبة المثقفين وفئة المحللين التابعين. إن هذا الأمر سيسهم لا شك في تدعيم الإحساس بالانتماء العضوي بالقضايا المجتمعية والشعور بضرورة الشراكة الفعالة في تدبيرها، عبر فعل تواصل مفتوح أمام فئات كانت إلى عهد قريب صدى لا غير، ينحصر فعلها في الاستقبال وإضفاء الهالة الاعتبارية على أصحاب صنع القرار.

كما أنه فعل تواصل منبثق من مختلف الاتجاهات، يكشف كيف أن الاتصال الاجتماعي يتحدى أنماط التواصل الرسمي. والقصد، يتجلى في تعميق مواطنة تجعل من مستخدم تلك الوسائط فردًا متواصلًا ومهتمًا براهنية واستلزامية الحدث؛ على نحو يجعله «مغرّدًا عضويًا» على غرار مثقف عضوي يستلهم المشاركة والتفاعلية لأجل تحفيز دَفَق توعوي يتماهى مع الانتماء الواسع، الذي لطالما قيده القيود الاجتماعية والثقافية التي يفرضها نمط التمدين الخليجي.

2. هاشتاغ ضد حضور وفد إسرائيلي للمشاركة في تظاهرة الجمبار الدولي

احتضنت مدينة الدوحة، خلال الفترة 25 تشرين الأول/ أكتوبر - 3 تشرين الثاني/ نوفمبر 2018، تظاهرة عالمية للجمبار الفني، تضمنت مشاركة غير مسبوقه لوفد دولة الاحتلال الإسرائيلي، أثارت حفيظة العديدين وخصوصًا شريحة الشباب، الذين لم يألوا بأنفسهم عن موضوع سياسي بغطاء

(67) انظر: وزارة التعليم، تويتر، 2018/9/10، شوهد في 2019/5/5، في: <https://bit.ly/2VaEGx3>

(68) أنور الخطيب، «ناشطون ضد التطبيع في قطر يرفضون استضافة فريق إسرائيل للجمبار الدوحة»، العربي الجديد، 2018/10/8، شوهد في 2019/1/8، في: <https://bit.ly/2pKh68j>

رياضي، دفعهم إلى إطلاق وسم (#قطريون_ضد_التطبيع)⁽⁶⁹⁾. وكان فحواه، المطالبة الشعبية بالوقوف سداً منيغاً أمام استضافة فريق دولة احتلال وإرهاب دولي. في الوقت نفسه، كان مؤسسو حملة «شباب قطر ضد التطبيع» قد استنكروا في رسالة مفتوحة إلى الأمين العام للجنة الأولمبية القطرية، ثاني عبد الرحمن الكواري، ورئيس الاتحاد القطري للجماز علي الهتمي، مشاركة رياضيين إسرائيليين وعلى استقبال حكام من الاتحاد الإسرائيلي للجماز.

لم تعط ثمارها الحملة، ولم يضطر الوفد الإسرائيلي إلى حزم حقائبه ومغادرة البلاد، لكنّها مثّلت بادرة في التعامل مع القضايا التي تمس المجتمع وتستثير حفيظته الدينية والثقافية والسياسية. لقد استأثر الوبس أياً ما متتالية بانتباه الناشطين التواصليين، واحتل مراتب متقدمة في تويتر قطر (أكثر من 5700 تغريدة)⁽⁷⁰⁾، مؤكداً على الطبيعة التفاعلية التي بات يتابع بها الشباب الخليجي مختلف الأحداث⁽⁷¹⁾.

وتنم هذه الـ «هاشتاغات» عن تبلور نمط جديد من استقبال الأحداث، استقبال تجاوز الخطية في التبليغ والعمودية في النشر إلى احتذاء أفقي يجعل من الخبر قضية رأي عام⁽⁷²⁾، ومن القرار أو القانون فرصة للنقاش والمحاسبة، ويدفع به ممتداً في الشبكة التواصلية، إلى درجة تغدو معها باقي القضايا في سلم ترتيب نابع من القاعدة المجتمعية، وليس نازلاً من أعلى كما هو حال الوسائط التقليدية في النظم السلطوية، التي كانت تختار من الأخبار وتتقي من الأحداث ما يوافق القائم بالاتصال والساھر عليه. وتبعاً لذلك، صار التعرض للتدفق المعاكس / الخصم أمراً مقبولاً، في فضاء تتلاشى خلاله الحواجز وتتشظى عنده الحدود التقنية، إلى درجة أن نسبة القطريين ممن يشاهدون الأخبار الأجنبية الموجهة ضد قطر، عرفت ارتفاعاً من 6 في المئة في سنة 2013، إلى 13 في المئة في سنة 2017⁽⁷³⁾.

هذا المنعطف في التزود، كان للدولة القطرية إلى زمن قريب، رقابة صارمة عليه، من خلال رفع يافطة السيادة وهاجس المصلحة الوطنية، بالنظر إلى أن كل خبر خارج الأطر الرسمية أو لا يجاريها، هو إشاعة أو خبر زائف. لا سيما جراء عمليات النشر Share والتداول. فقد كان من السهل تحديد مصدر المعلومة، بينما الآن، كل فرد هو قناة، ومن ثمّ، فهو مزاج رأي وأيديولوجية قضية، فهو نفسه يناط به دور المرسل والمحلل والجمهور والناشر. وزاد من حدة ذلك، تقهقر حضور الأخ الأكبر (الإعلام الرسمي) وانزواء تدريجي لحارس البوابة؛ ما أفضى إلى توافر فرصة

(69) «خطيب جمعة في قطر يهاجم استضافة وفد رياضي إسرائيلي .. وعبر #يلا_تطبيع القطريون برفضون التطبيع»، موقع وطن، 2018/10/26، شوهد في 2019/1/8، في: <https://bit.ly/2LcBvR9>

(70) انظر ترتيب التغريدات في: <https://bit.ly/2Jwhwf9>

(71) نور الشامي، «قطريون غاضبون من استضافة فريق إسرائيلي للجماز»، موقع الخليج الجديد، في 2018/10/10، شوهد في 2019/4/9، في: <https://bit.ly/2J63LCn>

(72) من المشاهير الذين شاركوا فيه جابر الحرمي الكاتب الصحفي.

للمستخدم ليتحول إلى فاعل نشط Active User، قد يتحدى المخيال الجمعي لنسق السلطات القائمة. إنه مغرد لا يكتفي بالإبحار والتلقي، بل منتج للمضامين (فيديوهات، وصور، ونصوص) وناشر لها ورافع عقيرته بها.

وعلى هذا النحو، عضدت هذه الشبكات توسع فكرة مضامين المستخدمين User Generated Content التي عملت خارج نطاق الممارسة المهنية الرسمية، وعززت من صناعة المحتوى انطلاقاً من الواقع اليومي للأفراد بابتكارات فائقة في النشر وخلخلة حدود الرقابة. وقد شجع ذلك أيضاً عدداً من الجهات، سواء محسوبة على الداخل والخارج ورسمية أو غير رسمية إلى مضاعفة المسميات الوهمية والحسابات، بهدف صنع لوغاريتمية، تستحق المتابعة وتستثير المتلقي بالاستناد إلى الكثرة في حجم المتابعين وغزارة المشتركين؛ ما يوحي باستقلالية في الخبر ومعالجة جماعية للقضايا بأهمية المجال الافتراضي وتأثيره إلى تحوله إلى مصدر مهم من مصادر الواجهة الاجتماعية التي شجعت مسارات فردانية متعالية عن الجماعة السوسولوجية.

بل إن هذه المنصات، غدت مورداً لا يستهان به من موارد تزويد الإعلام الرسمي (كحال القضيتين) بالقصص الإخبارية وبطبيعة الحراك المجتمعي الذي كان يستعاض عنه قبل ذلك بالامبالاة، من خلال تأهيل الحدث السائد إلى قصة خبرية تُنسج خيوطها مع دراما القصة الإخبارية، علاوة على حراك أصحاب القرار وتفاعلهم معه. وهنا، بات بمقدورنا الحديث عن مواطن يبتدع طرقاً جديدة للمشاركة في المجال العام، الذي يحكي حدثه ويصوره ويثبه ويوزعه ويتفاعل مع الردود، ويستعين بروايات شهود العيان ويفتح المجال للمعنيين من الفئات المهمشة.

إنه مواطن يقدم نفسه فاعلاً في المجال العام، متواصلاً مع انتمائه، ومنتجاً للرسالة المضمون، ومسهماً ومتعهداً بتوفير زخم من المعلومات Crowdsourcing، وباحتاً عن دور في معمعة القضايا، ومبدلاً لمنحى التبليغ السياسي الخطي إلى تنشيط الحس التشاركي لمغتربين سياسياً⁽⁷⁵⁾ استطاعوا تطويع سنهم ليوافق نسق السياسة ويزيلوا عنها تاريخانية ارتباطها بالأجيال الأكبر سنّاً وخبرة.

خامساً: الاتصال الجديد وتغيّر السيولة المعلوماتية لدى القطريين

تبين لنا من تناول القضيتين أعلاه أنّ تحوُّلاً جرى في وضعيات التواصل الرسمية، لتنشأ قنوات تواصل آنية ذات تواصل هجين مركب⁽⁷⁶⁾، تتقاطع خلاله التمثلات بالتقنية، ويتشابك فيه المضمون بالأداة، ويستبدل فيه اللقاء الواقعي بالرقمي، حيث استمكنت الفئات المجتمعية التي لم يكن يسمع لها صوت

(74) جامعة الدول العربية، ص 8.

(75) المرجع نفسه، ص 9.

(76) خالد الجابر وآخرون، الإعلام العربي في عالم مضطرب (الدوحة: [د.ن.].، 2013)، ص 54.

(الأقلية إعلامياً والأكثرية مجتمعياً) من التملص من القيود والتوحد⁽⁷⁷⁾. وبات في الإمكان الاجتماع والنقاش وعقد المحاضرات والمؤتمرات مع أطراف المعمورة، والتفاعل معها فوراً بمتابعة حشدية، لم يكن يحلم بها زمن سيطرة حواس السمع والشفهية⁽⁷⁸⁾. بينما الآن، قُفز على حواجز الطبيعة، وتُجوزت السياسة المتربصة بالمباشرة. كما استطاع هذا الوليد التقنوي التغلب على وحدة المتلقي المتمثلة في الجماعة - المكان، لقدرته على مخاطبة العديد من المتصلين بالشبكة، فكل متصل سيتلقى الرسالة نفسها ويرد عليها من وجهة نظره بفقورية؛ ما يوسع مدارك الخبرات وينساح نحو اللامحدودية⁽⁷⁹⁾.

هنا، اختلف الاتجاه وتقاطع المضمار مع خط انتشاري، اكتسى أهميته من هموم المتلقي ووجدانه، الذي ظل عقوداً محمولاً على التلقي. إنه مسلك تواصلية مباشر تمثل خصوصاً في فيسبوك وتويتتر⁽⁸⁰⁾، إلى درجة أن ساهم في تحريك مياه ظلت راكدة سنوات، وحشد من الشعوب ما لم تستطع أن تغلح فيه الخطب الرنانة والمنشورات الطنانة في وقف زحفه، تكلل بإسقاط رؤساء وفرار آخرين. وفي حالات أكثر، دفع آخرين إلى التوجس من مرتادي المنصات.

لقد أوجد ناشطو المنصات الاجتماعية الذين غدوا فاعلين سياسيين، ومصدر الأخبار وعضوا زوار الفضائيات، بحكم سهولة خطابهم وبساطته⁽⁸¹⁾، وقربهم من الواقع ثقافياً ومنظورياً وحتى لغوياً. وهو ما تكشف عنه نسبة القطريين الذين يستقون الأخبار من منصات التواصل الاجتماعي، إذ ناهزت 77 في المئة⁽⁸²⁾. وبناء عليه، يمكن القول، إن هذه الوسائط أسهمت بقدر معين في التغلب على احتكار الدولة هيكل الإعلام الرسمي وتجاوز هامش الحرية المحدود الذي سُمح به للإعلام الخصوصي الذي تهيمن عليه الدولة في منطقة الخليج⁽⁸³⁾.

ولا بد أن نشير هنا، إلى أن الأنماط الطارئة لتداول المعلومة بيننا داخل المنطقة عموماً تدل على فشل أو على الأقل، محدودية الاتصال الرسمي في تأدية دوره التواصلي. راهنية استطاعت تجاوز معضلة النسيان أو محدودية الوقت، حيث بات بمقدور المشترك بفضل ما تزخر به هذه المنصات من جغرافية رقمية، رسم مساراته وتحديد طبيعة شخصيته الافتراضية؛ فحتى في حالات الملل أو الهروب يمكن للتطبيق الشبكي أن يحتفظ ببصمة المشترك المرسومة سابقاً. وما إن يتصل مرة أخرى، حتى يذكره بما فاته ويقترح عليه ما يستهوي ميوله. وحينها، يرجع إلى المجموعة التي سبق أن شارك فيها، فتتقاطر

(77) Aguert et al., p. 63.

(78) الجابر وآخرون، ص 52.

(79) علي عبد الفتاح كنعان، تطور الإعلام وفق تكنولوجيا الاتصال الحديث (عمّان: دار الأيام، 2016)، ص 60-61.

(80) Bussmann, p. 11.

(81) Joanna Jereczek-Lipinska, «Le blog en politique—outil de démocratie électronique participative?» Glottopol, no. 10 (Université de Rouen, juillet 2007), p. 164, accessed on 24/11/2018, at: <https://bit.ly/2Lcazar>

(82) «التعرف على شبكات التواصل الاجتماعي في قطر»، ص 15.

(83) الجابر وآخرون، ص 19.

عليه الرسائل وتترى على نافذته الصور والأخبار، ما يجعله غائبًا حاضرًا متغلبًا على حدود اللا زمنية، مقتفيًا حذوة Follow المتوافرة على تويتر مثلاً.

إنّ عملية التمدين والتحديث الفوقي هما أساس الحراك الاجتماعي في قطر كما هو الحال في غيرها من دول الخليج العربية، وقد أنتجت هذه العملية المستمرة شبكة معقدة من العلاقات القائمة على المصالح المتبادلة والتعاليق المجتمعي الثقافي والتجاري والسياسي الذي لم يكن ليوجد لولاها، وتنبع أهمية وسائل التواصل الاجتماعي في أنها تساهم في تكوين ثقافة تواصلية تتجاوز مختلف القيود والعوائق التي ينتجها نمط التمدين والتنمية الخليجي، وتؤثر بالتالي في العلاقات بين الدولة والمجتمع المحلي الذي يتأثر بشكل كبير بالسياسات الدولية⁽⁸⁴⁾.

ولا يمكن في هذا المقام، إلا أن نؤكد أن منصات التواصل الاجتماعي، انطلاقاً من النموذجين اللذين تم تناولهما، قد ساهمتا بدور حيوي في تبديل نمط صناعة المعلومة وتسويق الحدث وتحويل تحليله وهندسة حاشيته بما يتيح للمواطن القطري التأثير والتأثير. أي أن الوسيلة التواصلية الجديدة فعلاً قد غدت بحكم أشكالها الرقمية، وبحكم محتواها ذات شكل محدد اتساقاً مع استبصار ماكلوهان حين صاغ عبارته الشهيرة: الوسيلة هي الرسالة The Medium is the Message⁽⁸⁵⁾. وسيلة تخطت الوظيفة الأدائية، لتتقصد دوراً ثورياً⁽⁸⁶⁾ في القرن الواحد والعشرين، لقدرتها على التعبئة والتشديد والتشبيك بين الأفراد بقصد إيجاد جماعات متخيلة، تشتغل رغم حواجز الفضاء المكاني تحت مظلة قضية يؤمنون بها ويناضلون من أجلها. وتفادياً لمعوق غزارة المتابعين، يلجؤون إلى مجموعات صغيرة تنشُد التنسيق والانسجام، كأنهم يتبعون إستراتيجية إدارية رغبة في التوزيع الفعال⁽⁸⁷⁾.

لقد تسوّر التواصل حدود التبليغ إلى الاشتراك الفعلي والفوري في النشاطات العامة والفضايا المجتمعية، فقوتها تكمن في اعتبارها وساطة غير مجردة أو رمزية محضّة، بل هي كفاءات وشبكات من المعارف وأنماط من التخزين والتوزيع وتنظيم المعرفة⁽⁸⁸⁾. وبذكر الإطار الذي يجمع المتواصلين، يتبادر إلى الذهن البحث عن معنى منشود⁽⁸⁹⁾ يوارى تفاعلاً محفزاً ليس إلا تراكمًا ناجمًا عن إسهام جديد في مجال المعلومات أو متولداً عن معالجة مغايرة للمعلومات المتدفقة بوفرة وثراء، جراء الاستغلال المشترك؛ فالتواصل من العناصر النادرة التي تزدهر نتيجة الاستغلال المشترك⁽⁹⁰⁾.

(84) في دول الخليج من الصعب الحكم على أن هذا المجتمع تقليدي وذاك حديثي، لاحتوائهما على مظاهر متناقضة من العنصرين. انظر: صابر حارص، الاتصال الإعلامي وتحديث المجتمع العربي (القاهرة: العربي للنشر والتوزيع، 2009)، ص 61-62.

(85) Patrick Roy, «Le médium est le message dans le village global : le vrai message de Marshall McLuhan», *Aspects sociologiques*, vol. 7, no. 1 (Juillet 2000), p. 43.

(86) وصف أطلقته «إليك ريس» مستشارة وزيرة الخارجية الأميركية السابقة هيلاري كلينتون، انظر: جامعة الدول العربية، ص 69.

(87) Breakenridge, p. 62.

(88) جامعة الدول العربية، ص 70.

(89) Aguert et al., p. 64.

(90) المهدي المنجرة، حوار التواصل، سلسلة شراع، العدد 10، ط 3 (طنجة: دار إديما، 1996)، ص 16.

لكن في المقابل، وبحكم السرعة التي يعرفها الخليج سياسياً وثقافياً، ستزداد حدة الصراعات الاجتماعية وستخلق فجوة من الاستقطابات بين تيارين من المجتمع، واحدة تدعو إلى القطيعة مع الهوية، وأخرى تتشبه بها⁽⁹¹⁾، ولا سيما مع تزايد الشكوك والنزعات السلبيّة المتشائمة حول هذه المنصات وكمية التسيّبات، علاوة على تلاعبها ببيانات المشتركين. يبرز هذا التوجه المشكك في رهانات شبكات التواصل الاجتماعي في ترقية المواطنة بالمشاركة والمداولة في الانتقادات التي تغذيها الأطراف المحافظة والمقاومة للتغيير. تسعى هذه الأطراف إلى التحكم في الخطابات المرافقة للابتكار (هنا تطبيقات وشبكات التواصل الاجتماعي) والتمثلات الاجتماعية بتوجيهها أو حصرها في الدردشة السطحية والجدال العقيم وبمعنى أدق تميع دورها ورهاناتها المجتمعية.

ويثار حول هذه الشبكات إمكانية التلاعب والرقابة والاختراق، لكن أدوارها في إعادة هيكلة المجتمع وتحديد أدوار فاعليه كانت أمراً ملاحظاً؛ فانطلاقاً من الحملات «الهاشتاغية» التي تعرضنا لها في هذه الدراسة، أو تلك التي كانت سبباً في ضعضة أنظمة بقيت جاثمة على عروشها عقوداً من الزمن، يظهر بجلاء ضرورة توجيه الاهتمام إليها، لدراسة حركيتها وفعاليتها وعلاقتها بتشكيل هوامش للفعل السياسي خارج الأطر السياسية الرسمية التي ترى الدولة قطب الرحي الأس، والوحدة الرئيسة في تحليل العلاقات وصنع القرار ولملمة الواقع وتوجيهه⁽⁹²⁾.

خاتمة

يتضح لنا من خلال تتبع مسارات التفاعل الشبكي الذي أبداه المغردون القطريون على تطبيق تويتر إزاء القضيتين موضوع الدراسة، محتوى مقرر التربية الإسلامية واستقبال وفد رياضي إسرائيلي، الدور الكبير الذي أصبحت تؤديه مثل هذه الوسائط الاجتماعية في متابعة القضايا اليومية، ومسيرة الأحداث التي تستثير المواطن القطري، وتمس شؤونه، وتستحثه على الانخراط في مسالك المجال العام، والتفاعل مع طروحاته.

من جهة أولى، بين البحث كيف أن هذه الوسائط أتاحت للمواطن القطري الفرصة للولوج إلى الشأن العام السياسي والثقافي والتربوي، بحيث أضحى من حقه الإدلاء برأيه والتعبير عن موقفه من هاتين القضيتين. وهو أمر لم يكن متاحاً في السابق، زمن الإعلام التقليدي المؤسس على خطية التبليغ وعمودية الخبر. وقد ساهم هذا الأمر في إيجاد مجموعات، تشكلت افتراضياً وعلى تطبيق تويتر وغيره، من خلال أيقونات الإعجاب والمتابعة وإعادة النشر والتعليق، ثم ما لبثت أن وجدت نفسها ذات اهتمامات مشتركة ورؤى متناسقة، كانت باعثة لمزيد من التعبير والتعليق على الأحداث الراهنة؛ ما أسفر عن نمط اتصال جديد، مبني على التفاعل والمشاركة والحوار والتعبير بالسلب والإيجاب.

(91) همسة قحطان الجميلي، الإصلاح السياسي في دول مجلس التعاون الخليجي بين المحفزات والمعوقات (عمان: دار الجنان، 2011)، ص 31.

(92) مروة كامل البستنجي، دور ثورات الربيع العربي في تعظيم أثر الفاعلين الجدد من غير الدول من وجهة نظر النخبة السياسية الأردنية (برلين: المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، 2018)، ص 65.

وهذا النمط من الاتصال أوجد تجربة تواصلية تفاعلية ساهمت في توسيع مشاركة المواطن القطري بالتعبير عن قضايا تخص الشأن العام، وإن اتسمت هذه المشاركة بالمحدودية.

ومن جهة ثانية، يبين كيف أنها ساعدت المواطن القطري، على تجسير التشتت التواصلية الذي يفرضه نمط التمدين الخليجي الذي ينتج التهجين، كما أنّ هنالك مؤشرات تدل على أنه يساهم في بلورة مجال عام افتراضي يتجاوز هرم التواصل التقليدي الذي تهيم عليه الدولة. وهكذا ساهمت منصة تويتر في إشراك فئات أكبر من الناشطين والفاعلين، وأثرت في شكل المجال العمومي ليفسح مساحات جديدة للمشاركة.

ومن جهة ثالثة، رأينا في البحث تجديد ملمح قادة الرأي ومسارهم وتضاعف عددهم⁽⁹³⁾ وسحبهم نسبياً البساط من تحت أقدام السلطات التقليدية، ما قد ينجم عنه تسوّر الخطية الاتصالية التي أنيطت بهم سنوات، والمساهمة في تفريغ شحنات الغضب عبر مشاركة تطوعية سلبية، إضافة إلى ترسخ أقدامها داخل المجال العام، بحكم انبثاقها من أرضية الأحداث ونشرها أفقيًا له، ما سيكون قيمياً باضطرار النخب إلى التفاعل والإصغاء، ومن ثمّ تغيير السياسة أو على الأقل التجاوب معها بتكذيب أو نفي. ويترسخ هذا في سياق سوسيوسياسي يخلو من أي تمثيل حزبي منظم يتبارى على السلطة ويتداول على الحكم. ومنه، قد يتسع المجال العمومي ويتيح فضاءات جديدة للتداول والنقاش يكون مسموحًا بها، بديلة من التنظيمات الحزبية السياسية لإحساسهم بقوة عصبية الدولة الحديثة وتجاوزها منطق عصبية القبيلة المحدود. وهذا لا يعني بأي حال أن ينتهي دور القبيلة نهائيًا، وإنما يتحول تدريجيًا إلى مؤسسة من مؤسسات المجتمع داخل مظلة الدولة الحديثة، بحيث يمسي رافدًا وليس موازيًا.

وأخيرًا، ومن خلال القضيتين موضوع الدراسة، يتضح لنا كيف أفضى هذا التحول التواصلية من الخطي إلى التفاعلي، وأمام حدة التعليقات ونسب المتابعة، إلى اضطرار السلطات إلى التفاعل مع الرأي العام الشبكي / الواقعي والاستجابة له ولو على نحو خجول، من خلال عقد ندوات صحفية تنور الرأي العام، أو من الإعلان عن إجراءات تمس القضايا موضوع التفاعل عبر حسابها على تويتر مثلاً؛ أي عبر الوسيط الذي اعتمده الناشطون والمغردون نفسه.

References

المراجع

العربية

إيكو، أمبرتو. السيميائية وفلسفة اللغة. ترجمة أحمد الصمعي. بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2005.

البستنحي، مروة كامل. دور ثورات الربيع العربي في تعظيم أثر الفاعلين الجدد من غير الدول من وجهة نظر النخبة السياسية الأردنية. برلين: المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، 2018.

(93) الحمامي، ص 22.

البناء، بسمة قائد. توير والبناء الاجتماعي والثقافي لدى الشباب. عمان: المؤسسة العربية للنشر والتوزيع، 2014.

بن صفيية، عبد اللطيف. «وسائل الإعلام والمجتمع المدني في الفضاء العمومي، الحراك العربي بين ثقافة المواطنة والديمقراطية». مجلة اتحاد إذاعات الدول العربية. العدد 4 (2011).

بنكراد، سعيد. الصورة الإشهارية: آليات الإقناع والدلالة. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2009.

بوتومور، توم. مدرسة فرانكفورت. ترجمة سعد هجرس. ط 2. طرابلس (ليبيا): دار أويا، 2004.
 بوشليبي، ماجد وآخرون. ثقافة الإنترنت وأثرها على الشباب. وقائع ندوة علمية. الشارقة: دائرة الثقافة والإعلام، 2006.

بوفرة، عبد الكريم. علم اللغة الاجتماعي. نسخة إلكترونية. موقع الألوكة. في:
<https://bit.ly/2VA20nj>

الجابر، خالد وآخرون. الإعلام العربي في عالم مضطرب. الدوحة: [د. ن.]، 2013.
 جامعة الدول العربية. عصر الميديا الجديدة. تونس: منشورات اتحاد إذاعات الدول العربية. سلسلة بحوث ودراسات إذاعية. العدد 78 (2016).

الجميل، همسة قحطان. الإصلاح السياسي في دول مجلس التعاون الخليجي بين المحفزات والمعوقات. عمان: دار الجنان، 2011.

حارص، صابر. الاتصال الإعلامي وتحديث المجتمع العربي. القاهرة: العربي للنشر والتوزيع، 2009.
 الحمامي، الصادق. «الميديا الجديدة والمجال العمومي، الإحياء والأنبعاث». اتحاد إذاعات الدول العربية. العدد 3 (تونس: 2011).

حنون، مبارك. دروس في السيميائيات. الدار البيضاء: توبقال، 1987.
 السويدي، جمال سند. وسائل التواصل الاجتماعي ودورها في التحولات المستقبلية: من القبيلة إلى الفيسبوك. ط 4. أبوظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 2013.

العادلي، فاروق محمد. «الثبات والتغير في عادات القطريين». حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية. العدد 5. جامعة قطر (1982).

غيدنز، أنتوني. علم الاجتماع: مع مدخلات عربية. ترجمة فايز الصياغ. بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2005.

- فيري، جان مارك. فلسفة التواصل. ترجمة عمر مهيل. الجزائر: منشورات الاختلاف؛ الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي؛ بيروت: الدار العربية للعلوم، 2006.
- كنعان، علي عبد الفتاح. الإعلام الإلكتروني. عمان: دار الأيام، 2016.
- _____ . تطور الإعلام وفق تكنولوجيا الاتصال الحديث. عمان: دار الأيام، 2016.
- _____ . نظريات الاتصال والإعلام الحديث. عمان: دار الأيام، 2016.
- مراح، عيسى. «التنديد والاحتجاج عبر شبكات التواصل الاجتماعي: نحو تجديد أشكال المشاركة السياسية في الجزائر». عمران. مج 7. العدد 27 (شتاء 2019).
- المصطفى، حمزة. خلفيات الثورة، دراسات سورية. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2013.
- ملاكوي، أسماء حسين. أخلاقيات التواصل في العصر: هابرماس نموذجًا. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2017.
- المنجرة، المهدي. حوار التواصل. سلسلة شراع. العدد 10. ط 3. طنجة: دار إديما، 1996.
- نوريس، كريستوفر. التفكيكية: النظرية والممارسة. ترجمة صبري محمد حسن. الرياض: دار المريخ، 1989.

الأجنبية

- Aguert, Marc et al. «La communication expressive dans les forums de discussion: émotions et attitude ironique chez l'adolescent.» *Tranel*. no. 57. (2012).
- Baller, Silja. Soumitra Dutta & Bruno Lanvin (eds.). *The Global Information Technology Report 2016, Innovating in the Digital Economy*. World Economic Forum, INSEAD, Cornell University (Geneva: 2016). at: <https://bit.ly/29Azwrq>
- Boyer, Henri. *Introduction à la sociolinguistique*. Paris: Dunod, 2001.
- Baudrillard, Jean. *La société de consommation, ses mythes, ses structures*. Paris: Gallimard, 1970.
- Breakenridge, Deirdre K. *Social media and public relations*. New Jersey: Pearsons Education, 2012.
- Bussmann, Kate. *A Twitter in year*. New York: Bloomsbury, 2011.
- Fourquet, Marie–Pierre. «Un siècle de théories de l'influence, histoire du procès des médias.» *Médiation et information*. no. 10 (1999).

- Hall, Stuart et al. «Codage/Décodage.» *Réseaux*. vol. 12, no. 68 (1994).
- Jereczek–Lipinska, Joanna. «Le blog en politique–outil de démocratie électronique participative?» *Glottopol*. no. 10 (juillet 2007). at: <https://bit.ly/2LcazAR>
- Marcoccia, Michel & Nadia Gauducheau. «L’analyse du rôle des smileys en production et en réception: Un retour sur la question de l’oralité des écrits numériques.» *Glottopol*. no. 10. (Juillet 2007).
- Marin, Léonie. «Pour une anthropologie de la communication: Entretien avec Yves Winkin.» *COMMposit*. vol 13, no. 1 (2010). at: <https://bit.ly/2Iliiaan>
- Maurin, Jean–Luc. «Anthropologie de la communication de la théorie au terrain.» *Communication et organisation*. no. 9 (1996). at: <https://bit.ly/2PERlXP>
- «Media Use in the Middle East, 2017, A seven–nation survey by Northwestern University in Qatar.» at: <https://bit.ly/2zaz7iH>
- Mounin, Georges. *Introduction à la sémiologie*. Paris: Minuit, 1970.
- Peninou, Georges. «Physique et métaphysique de l’image publicitaire.» *Communications*. no. 15 (1970).
- Picard, Dominique. «De la communication à l’interaction, l’évolution des modèles.» *Communication et langages*. no. 93 (1992).
- Roy, Patrick. «Le médium est le message dans le village global: le vrai message de Marshall McLuhan.» *Aspects sociologiques*. vol. 7, no. 1 (Juillet 2000).
- Salem, Fadi. *The Arab Social Media Report 2017: Social Media and the Internet of Things: Towards Data–Driven Policymaking in the Arab World*. vol. 7 (Dubai: MBR School of Government, 2017). at: <https://bit.ly/2rbpEGe>
- Winkin, Yves. *La nouvelle communication*. Paris: Seuil, 1981.